3

الفاجومى

أبوكو على الشمروخ.. بلبوص

- أبو علي الشمروخ مكانش له مثوى.. محل الإقامه تحت شجرة المنحه
- كبس الإنجليز على العزبه بحثا عن مسروقات من الكنب
- أشعلت النار في العربيه المحمله بالمسروقات المضبوطه
- تم القبض على أبويا على بتهمة حرق العربيه ومات في السجن

■■■

obeikan.com

obeikan.com

قالوا اللي يعيش ياما يشوف.. قلنا اللي يمشى يشوف أكتر.

وأنا كـانت بايضه لـي في القفص.. من صـغـري وأنا ماشي.. يعـني على قد مـا عشت مشيت وعلى قد ما مشيت شفت.

ناس يا ما مالهاش عدد قابلتني ع الطريق.. وشوش مـتركبه على صناديق مقفوله على حواديـت.. اللي شبه بعـضهـا كبيـته من دمـاغي.. مافـاضلشي غيـر الحواديث الوحدانيـه اللي مالهاش شبـه.. معششه فـي نافوخى ومكلبشه ف قلبي لسـاها بتعن علىّ زي الجرح القديم.. وافتح وشوف..

ماحدش فى البلد كان يعرف له أصل من فصل.

طلعنا لقينا الكبار بيقولوا له (يا با على).. قلنا زيهم.

فقير.. فقير.. فقير.. على رأيه هو:

- أجيب لك منين يا شيخ الغفر.. دانت كـرشك يبلع جاموسه بخراها.. والراعى اللى وراها.. وأنا أفقر م الدبور لاحمر.

سألناه:

- واشمعنى الدبور لاحمر يابا على؟

قال لنا:

- حاكم الدبابير الصفرا زى النحل بتفرش عـشوشها قبل ما تسكنها.. إلا الحزين لاحمر يفحر له خرم فى الحيط وينام على لحم الخرم.

وأبوكو على الشـمروخ لا كان مالك ولا مـستأجـر.. ولا حتى مرابع.. كان حـته تمللى. يعنى عامل باليوميه ماحيلتوش إلا عينه وحيله ومواله الوحدانى:

إن مال عليك الزمان.

يابن الكرام

باعك

شمر دراعك

وقوم ميِّل على دراعك

ومكانش له متوى.. المقر الدائم ومحل الإقامه.. صيف وشتا.. تحت شجره المانجه الهنديه فى جنينة جدى البيـه الشوادفى العمده العظيم الفخيم الـلى مره عزم خديوى مصر شخصيًا على الغدا وطلع له صينية الغدا دهب وعليها الأوزى محشى ومشوى وواقف على رجليه!

وذات مره سألته:

- إنت يابا على مابتبردش إزاى وانت نايم فى الطل؟ داحنا بنتكتك م البرد واحنا تحت الغطيان.

ضحك وقال لى:

- يا عبيط.. ربك رب العطا.. يدى البرد على قد الغطا.

عمـرى ما شـفتـه صالـب طوله.. كان دايمًا مـتنى لتحت.. يا إمـا ماسك الـفاس وبينكش بطن الأرض. يا إمـا شايل الكريك.. وبيـحمل تـراب أو سباخ.. وحـتى لما كان بيقف أويقعد يلقط نفسه.. برضه كان بيبقى متنى لتحت.

الواد غريب ابن أم تهانى فى مره قال لنا:

- أصل أبوكو على.. بيكسِّل يقف.

وكان عندى ابن عم دمـاغه لادع اسمه الأستـاذ نجم لكن كان دمه خـفيف.. كان يلم البط والوز والمعيـز والفراخ حواليـه ويطلَّع لهم أكل من جيوبه ويفـضل طول ما بياكلوا يكلمهم كلام مش مفهـوم ويضحك.. وكان بيصطاد التعابين ويخلع سنانهم بطاقيه صوف وبعدين يفتح بطونهم ويدوِّر على خاتم الملك اللى خباه سيدنا سليمان من شمهورش ملك الجان أثناء ما كانوا بيفتحوا البحر!

الأستاذ نجم ده مره وإحنا قاعدين على كوبرى الملك قال لنا:

- بصوا كده ياولاد على أبوكو على الشمروخ.. وقولولى شايفين إيه؟

وبعدين ضحك مع معزه السيد أبو يوسف وقال لنا:

- أبوكو على دا مش واحد.

الواد أحمد أبو هنداوى ضحك وقال له:

أمَّال كام؟

قال:

- اتنين.. واحد رأسى وواحد أفقى.

ورجع تانى يضحك مع المعيز واحنا مافهمناش حاجه.

وماكانش أبويا على الشمروخ يملك من دنياه غير الجلابيه الزرقا القديمه اللى كان أصلها خيمه وكوز السلامون المصرى اللى كان بيعمل فيه الشاى الزرده ويشربه فيه برضه!

كان وشه أصفر ومكرمش ورقبته صفرا ومكرمشه وإديه مقشفه وبتخر ميه صفرا خصوصًا فى البرد وكانت شفايفه مشققه ولولا الأنيميا كانت جابت دم.. وكان طول النهار يلحسها بلسانه عشان يطريها!.. وكانت رجليه صيف شتا ما بتبانش من القشف والحراشيف اللى كاسياها زى ضهر الزحلفه.

المدهش إنه ماكانش شايف أى إحراج فى المسأله دى.. وكان أوقات الصفا واحنا ملمومين حواليه يمد لنا رجليه ويقول:

- شايف ياواد إنت وهو البلغه الربانى دى؟ صيفى شتوى.. لا تدوب ولا تروح للصرماتى.

ويكمِّل:

- إن شاء الله وبإذن واحد أحد يوم الموقف العظيم ح استأذن سبحانه وتعالى

وانَسَلّْ فرده على لبده شيخ الغفر وفرده على عِمه الشيخ عيطه.

كـان كل شيء فى أبويا على شـبـه مـيت إلا حـاجتين.. لـسانه الحـراق وعـينيـه الصاحيين.. لما كان يغضب كنت تشوف فيـهم ماسورتين بندقيه ميزر.. ولما كنا بنتلم حواليـه ونتوه فى حواديته الجـميله ويحس هو بسعـادتنا باشوف فيـهم بحرين حنان صافيين.

مره قلت له:

- نفسى يابا على أقلع بلبوص وانزل استحمى فى عينيك.

ضحك من قلبه وقال لى:

- تغرق يا بو عزت.. وأروح من أمك فين؟

وفى يوم من ذات الأيام حصلت علينا كبسـه إنجليزى.. ودى كانت دايمًا بتحصل بشكل مـستمـر على جمـيع البلاد والعـزب والكفور والنجـوع المحيطه بمعـسكرات الاحتـلال الإنجليزى فى منطقـه قنال السويس اللى بتبـدأ بمعسكر مـحجر أبو حـماد وتنتهى فى السـويس وبورسعيـد.. كانوا بيداهمـونا بحثًا عن مـسروقات عـباره عن معـالق وشوك وسكاكين وبطاطين وملايات وناموسيات وصحـون وفناجين.. كلها بتنباع علنى كل يوم اتنين فى سوق أبو حماد العـمومى وعشان كـده كانت لازم أى كبسـه تسفر عن مضبـوطات يلزم لها متهمين يدبرهم شـيخ الغفر ويتحاكـموا أمام القضاء المصرى اللى كانت أحكامه عليهم بتـتراوح بين شهر وست شهور سجن مع الشغل والنفاذ.

وشهـاده لله إن الإداره المصريه ماكنتش بـتقصـر فى واجبهـا تجاه القوات الحليـفه وكانت كل جهه عارفه اختصاصها وبتأديه على أكمل وجه.

العمده يسـتقبلهم لحظة الوصول ويقدم لهم التـحيه والترحيب مصـحوبين بشاى الصباح يـبلّعوه بالمنين والغريبه ومـا شابه ذلك ويحضر لهم الغـدوه المعتبره يلـهفوها بعد نهايه الكبسه وهما راجعين مـنتصرين ع الفلاحين وماسكينهم تلبس وشيخ البلد

مسئول قسم الهدايا اللى هى عباره عن كميات من القشطه والزبده والفطير المشلتت وعسل النحل والبيض والطيور والفواكه والخضروات ولا سيما البطيخ والعنب والمانجه والموز والخيار والطماطم وكل دا بيتلم من غيطان وبيوت الفلاحين بالسحت وعدم الرضا.

أما شيخ الغفر فكان يستقبلهم بحرس الشرف ويعين له غفيرين لحراستهم وخدمتهم وبعدين يقبضوا لهم على المتهمين اللى يحددهم شيخ الغفر.. يشيلوهم المضبوطات ويسوقوهم على أوضه التليفون اللى هى تخشيبه الأرياف لحين ترحيلهم للسجن.

خرجت الحمله من سرايا العمده بعد شاى الصباح فى اتجاه بيت خالى حسن أبو مهدى ودا معناه إنهم يمروا على موقع أبويا على الشمروخ فى جنينة البيه الشوادفى.. كان أبويا على لحظتها بيحمل سباخ ع الحمير وإذ بالحمله تتوقف قصاده ويسأله الترجمان المصرى اللى بيصاحب الحمله المكونه من الكابتن واتنين جنود والسواق:

- إنت يا راجل جايب الجلابيه اللى إنت لابسها دى منين؟

ورد أبويا على بمنتهى الجديه:

- من بنك سمعان يا خواجه.

ويظهر إن الترجمان مافهمش النكته فقال له:

- إنت راجل كداب.. الجلابيه دى قماش إنجليزى.. بالأماره كان أصلها خيمه.

قال:

- وافرض؟

قال له:

- تبقى حرامى.

ضحك أبويا على وقال له:

- والعمل يا شريف؟

قال له:

- تروح السجن.

اتنهد أبويا على وقال له:

- ريحت قلبى الله يريح قلبك.. مش هناك ح اكل واشرب واشخ وانام؟ ورطن الترجمان مع الكابتن والحاشيه وبعدين غير لهجته وقال بمنتهى الود:

- اسمع يا عم الحاج.. الكابتن مستخسرك فى السجن وبيقول إنك مش وش ذلك.

وضحك أبويا على وقال له:

- وبناءً عليه؟؟

وابتسم الترجمان يمكن لأول مره فى حياته وقال له:

- تعجبنى كده يا حاج.. بناء عليه بقى تشوف معاك حاجه للكابتن وتفضل جلابيتك ساتراك ويا دار ما دخلك شر.

قال له بجديه:

- وتدونى بيها مبايعه؟

قال له:

- نديك اللى إنت عايزه.

قال له:

- طب يا أخى مش تيجى عِدِل م الأول؟.. هو احنا لينا بركه إلا الكابتن ورجالة الكابتن.. خد يا سيدى.

وفى ظرف ثانيه كان مالخ الجلابيه ومكورها وحادفها فى وش الكابتن:

– آدى اللى معايا.

الكابتن فؤجيء بالحركه ورجليه ماعلمتش ع الأرض ماتعرفش خوف من أبويا على ولا من محتويات الجلابيه من قمل وبراغيت وخلافه. والحاشيه طلعت تجرى وراه وفاتوا أبويا على واقف بلبوص وبيحمل السباخ وبيضحك وبيقول:

– بطلوا ده واسمعوا ده.. الحرامى بيقول لصاحب البيت بخ.. آه يا زمن عايب!

وشاع الخبر فى العزبه:

– أبوكو على الشمروخ واقف بلبوص فى جنينه البيه الشوادفى وحاله باين والنسوان بيروحوا يبصوا عليه ويرجعوا مخبين وشوشهم بالطرح وبيضحكوا!

وجريت على جنينة جدى البيه الشوادفى أشوف النسوان بيضحكوا على إيه؟.. لكن مع الأسف رحت لقيت أبويا على لابس جلابيته وواقف يحمل سباخ كالعاده وسألته:

– خبر إيه أمَّال يابا على؟

قال لى:

– خبرك أسود.

قلت له:

– اللى شايع فى البلد خبرك إنت مش خبرى أنا.

قال لى:

– لادد عليك اللى بيجرا فى بلدكو دا يابو عزت؟

قلت له:

– إنت ما سمعتش شيخ الغفر وهو بيقول للغفر الإيد اللى ماتقدرش على قطعها بوسها؟

قال لى:

- حد علمى إنك اتدلَّيت غفير.

قلت له:

- فشر.

قال لى:

- تبقى شيخ غفر.

قلت له:

- فشرين.

قال لى:

- أمَّال مالك؟

قلت له:

- مالى على الله.

قال لى:

- شايف إيه واقف قدام سراية عمدتكو التنبل؟

قلت له:

- كومبيل إنجليزى ومحمل من خيرات الله.

قال لى:

- وعارف ده كله حيروح على فين؟

قلت له:

- ع الكامب طبعًا.

ضحك وقال لى:

- هو الكامب بيلم زباله وقمل يا أهبل؟. الحاجات دى حياخدوها ويبيعوها تانى فى سوق لتنين ويرجعوا يظبطوها تانى وياخدوا فى نواتيها جدعين تلاته غلابه يحبسوهم.. عشان يبقى موت وخراب ديار.. زى الغلبان أبو العيال أنور ابن عمك اللى حبسوه الكفره ولاد الكلب.

قلت له:

- وأبويا العمده عارف ده كله؟

قال لى:

- أبوك العمده حرامى وبيقسم معاهم وإن ماكانش بيقسم معاهم يبقى خدام إنجليز كلب ابن كلب.

قلت له:

- طب وإنت ساكت ليه يابا على؟

قال لى:

- اسمع ياد يابو عزت.. لو إنت واد دكر صحيح اتسحب على طراطيف صوابعك وروح فسى العجل واطلع من بره بره على داركو.. ماتخافش هما دلوقتى ملهيين فى بطونهم وبيطفحوا الدردى فى السرايه.

أنا طبعًا وكعادتى أحب لما اعمل العيبه ما اطلعهاش ناقصه!

- إيه يعنى أفسى العجل؟!.. طب ماهم حينفخوه تانى.

طيران على دارنا سهيت أمى وسحبت لتر الجاز وعلبه الكبريت الهلب وعلى طراطيف صوابعى ومن جنب الحيط واتسحبت لغاية ماوصلت للعربيه اللى عليها جبال من البطاطين والناموسيات والملايات.. كانوا لنجليز بياكلوا فوق والغفر بياكلوا فى أوضه التليفون وفى ثوان كنت دالق الجاز ع البطاطين وشاكك عود

الكبريت الهلب راميه ع الجاز وخدت القسط وعلى بيتنا حمامه.. لقيت أمى بتسخن العيش للغدا قعـدت معاها وبدأنا نتغدى لقمـه و التانيه والتالته والفرقـعه إشتغلت.. أصوات زى أصوات الكنابل إللى بترميـها الطيارات الألمانيه ع الانجليز بالليل وويك ويك الصوات اشتغل وشويه وسمعنا صوت شيخ الغفر لأول مره بيستغيث:

- روحوا ياولاد.. تعالوا ياولا.

وطلعت الناس اللى فى البيوت وجريت الناس م الغـيطان على مصدر الصوت.. صوت الاستغاثه اللى طالع من سرايه العمده لأول مره برضه.

أمى قالت:

- يالهوى الغاره الألمانى بالنهار؟.. دى علامات السـاعه اللى وصى عليها حسان اليمانى.. أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

أنا حصل لى شويه لخبطه.. أروح.. ما اروحش؟.. وشـويه شويه سكتت الفرقعه والصوات وبدأت الأصوات تهـدأ وإذا بأمى تفقع بالصوت وتخرج حافـيه جرى فى اتجاه الأحداث فقلت مـابدهاش جريت وراها فى اتجاه سراية العمده.. لقـيت مشهد فى غاية الغرابه.. العربيه عباره عن فحمه غـرقانه ميه والغفر حواليها ماسكين جرادل وغرقانين ميه وأخونا الكابتن مابـقاش كابتن.. دا شخص ياولداه وشه أصفر وواقف مفـرشح وناسى فوطه السفـره على صدره وبيكلم نفـسه ويضحك والنفـرين لنجليز واقفين مسهمين وبيبصوا لبعض ووشوشهم ضاربه بلمونى على زرقان.. والترجمان اختـفى والعمده مـاسك خرزانه وبيـشوح بيهـا فى الهوا والأهالى واقـفين على بُعد بيتفرجـوا وهما ساكتين لكن وشوشهم فـيها لؤم وشماته.. وفجـأه صرخ العمده فى وش شيخ الغفر:

- الفاعل كوم وعمرك كوم ياسيد.

وإذا بصوت أبويا على جاى من ورا سور الجنينه:

- «.....» حمرا يا عمده.

بعض الأهالى قدر يكتم ضـحكته وبعضـهم ماقدرش.. لكن اللى ضـحك ضاع فى اللى ماضـحكش - فى اللحظه دى - أنا شفت بعـينى ماحدش قـال لى.. شفت العمده وهو بيـهز دماغه مرتين لشيخ الغـفر وشفت شيخ الغفر وهو بيـشاور بدماغه للغفرِ الجنينه وزعقت بعلو صوتى:

- طير يابا على.. اهرب يابا على.

وأفاجأ بمطرقـه حديده نازله على صدغى.. دوشتنى.. أخويا العزيز عـبد العزيز.. قرر فجأه إنه يتحمل مسئـوليه الأخ الكبير المربى فراح نازل بكلوه إيده على صرصور ودنى اليمين نترتنى بيـجى تلاته متر قلبنى على جنبى الشمال.. وعـبد العزيز ده كان ممسوس علاوه على إنه فاشل فى الدراسه والحب والحياه.

المهم.. كل مـا احـاول أقـوم راسى تغلـبنى أروح نازل زرع بصل.. مـا اعـرفش الوقت اللى فات قد إيه قبل ما اسمع صوت ضرب الدباشك وكعوب الجزم الميرى.. أنا قلت الدور علىَّ رحت فـازز مـرعوب لقـيت أبويا على مـرمى على ضهـره وكل الضرب دا فيه وهو مابيقولش آه.. لحد مـا كعب جزمه جه فى بطنه فصدرت عنه آهه مكتومه زلزلت قلبى رحت جارى ورامى نفسى عليه وأنا باصرخ:

- سـيبـوه يا ولاد الكلب.. أنا اللى حـرقتـهـا.. سيبـوه ياولاد الكلب.. أنا اللى حرقتها .

وظاطت الدنيا وسمعت صوات أمى وشتـيمه شيخ البلد فى الناس وزعق العمده بصوت مرعوش:

- خدى ابنك يا هاتم لحسن ودينى وأيمانى أرميهولك فى السجن مؤبد.

اتكاتروا علىَّ وشالونى من فوق أبويا على الشمروخ.. كان وشه غرقان دم.. لكن عنيه كان فـيها ابتسامـه حسيت المره دى إنى استحـميت فيها وجـرجرونى على بيتنا وكتفونى بحبل فى السلم النقالى.. ولما فكونـى جريت على المنجايه الهنديه مالقيتش أبويا على الشـمـروخ.. خدوه ع السـجن بتهـمـة حرق العـربيـه.. رجعت ع البيت مكسور ومـقهور.. وروحى يا أيام تعالى يـا أيام وسمعنا إن أبوكو على الشـمروخ.. مات فى السجن ألف رحمه ونور عليه.

■■■